﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾

بعد أن حذر الله سبحانه وتعالى بنى اسرائيل من يوم لا تنفع فيه الشفاعة . أراد أن يذكرهم بفضله عليهم وبنعمه . قوله تعالى : « إذ » هى ظرف لشىء. وسبق أن قلنا أن الظرف نوعان . لأن كل حدث من الأحداث يحتاج الى زمان يقع فيه والى مكان يقع فيه . وعندما أقول لك إجلس مكانك . هذا الظرف يراد به المكان . وعندما يخاطب الله عز وجل عباده : أذكر اذ فعلت كذا . أى اذكر وقت أن فعلت كذا ظرف زمان . وقول الحق تبارك وتعالى : « وإذ نجيناكم » أى اذكروا الوقت الذى نجاكم فيه من فرعون .

والآية التى نحن بصددها وردت ثلاث مرات فى القرآن الكريم . قوله تعالى

﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾

(سورة البقرة)

﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ ﴾

(من الآية ١٤١ سورة الأعراف)

وقوله جل جلاله فى سورة إبراهيم :

﴿ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾

(من الآية ٦ سورة ابراهيم)

الاختلاف بين الأولى والثانية هو قوله تعالى فى الآية الأولى : « يذبحون أبناءكم » . وفى الثانية : (يقتلون أبناءكم) . « ونجينا » فى الآية الأولى : « وأنجينا » فى الآية الثانية . ما الفرق بين نجينا وأنجينا ؟ هذا هو الخلاف الذى يستحق أن نتوقف عنده . . فى سورة البقرة : « وإذ نجيناكم من آل فرعون » . . الكلام هنا من الله . أما فى سورة ابراهيم فنجد « أذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم » .

الكلام هنا كلام موسى عليه السلام . ما الفرق بين كلام الله سبحانه وتعالى وكلام موسى ؟ . .

ان كلام موسى يحكى عن كلام الله . ان الله سبحانه وتعالى حين يمتن على عباده يمتن عليهم بقمم النعمة ، ولا يمتن بالنعم الصغيرة . والله تبارك وتعالى حين امتن على بنى اسرائيل قال : « نجيناكم من آل فرعون يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم » . ولم يتكلم عن العذاب الذى كان يلاقيه قوم موسى من آل فرعون . انهم كانوا يأخذونهم أجراء فى الأرض ليحرثوا وفى الجبال لينحتوا الحجر وفى المنازل ليخدموا . ومن ليس له عمل يفرضون عليه الجزية . ولذلك كان اليهود يمكرون ويسيرون بملابس قديمة حتى يتهاون فرعون فى أخذ الجزية منهم . وهذا معنى قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ ﴾

(من الآية ٦١ سورة البقرة)

أى أنهم يتمسكنون ويظهرون الذلة حتى لا يدفعوا الجزية . ولكن الحق سبحانه وتعالى لم يمتن عليهم بأنه أنجاهم من كل هذا العذاب . بل يمتن عليهم بقمة النعمة . وهى نجاة الابناء من الذبح واستحياء النساء . لأنهم فى هذه الحالة ستستذل نساؤهم ورجالهم . فالمرأة لا تجد رجلا يحميها وتنحرف .

كلمة نجّى وكلمة أنجى بينهما فرق كبير . كلمة نَجّىٌ تكون وقت نزول العذاب . وكلمة أنجى يمنع عنهم العذاب . الأولى للتخليص من العذاب والثانية يبعد عنهم عذاب فرعون نهائيا . ففضل الله عليهم كان على مرحلتين ، مرحلة انه خلصهم من عذاب واقع عليهم . والمرحلة الثانية أنه أبعدهم عن آل فرعون فمنع عنهم العذاب .

قوله تعالى : « يسومونكم سوء العذاب » ما هو السوء ؟ انه المشتمل على الوان شتى من العذاب كالجلد والسخرة والعمل بالاشغال الشاقة . ما معنى يسوم ؟ يقال سام فلان خصمه أى أذله وأعنته وأرهقه . وسام مأخذوة من سام الماشيه تركها ترعى . لذلك سميت بالسام اى المتروكة . وعندما يقال إن فرعون يسوم بنى اسرائيل سوء العذاب . معناها أن كل حياتهم ذل وعذاب . . فتجد أن الله سبحانه وتعالى عندما يتكلم عن حكام مصر من الفراعنة يتكلم عن فراعنة قدماء كانوا فى عهد عاد وعهد ثمود . واقرأ قوله تعالى :

﴿ وَٱلْفَجْرِ ① وَلَيَالٍ عَشْرٍ ② وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ③ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ④ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ⑤ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ⑥ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ⑦ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ⑧ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ⑨ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ⑩ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ⑪ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ⑫ ﴾

(سورة الفجر)

أى أن الله تبارك وتعالى جاء بحضارة الفراعنة وقدماء المصريين بعد عاد وثمود . وهذا دليل على أن حضارة عاد وثمود قديمه . والله سبحانه وتعالى وصف عادا بأنها التى لم يخلق مثلها فى البلاد . أى أنها حضارة أرقى من حضارة قدماء المصريين .
قد يتساءل بعض الناس كيف يصف الله سبحانه وتعالى عادا بأنها التى لم يخلق مثلها فى البلاد . مع أنه يوجد الآن حضارات متقدمة كثيرة .

نقول إن الله قد كشف لنا حضارة الفراعنة وآثارهم . ولكنه أخفى عنا حضارة

عاد . ولقد وجدنا فى حضارة الفراعنة أشياء لم نصل اليها حتى الآن . مثل براعتهم فى تحنيط الموتى والمحافظة على الجثث . وبناء الأهرامات وغير ذلك . وبما أن حضارة عاد كانت أرقى من حضارة الفراعنة . فإنها تكون قد وصلت إلى أسرار ما زالت خافية على العالم حتى الآن . ولكنا لا نعرف شيئا عنها ، لأن الله لم يكشف لنا آثارها .

ولقد تحدث الحق تبارك وتعالى عن الفراعنة باسم فرعون . وتكلم عنهم فى أيام موسى باسم آل فرعون . ولكن الزمن الذى كان بين عهدى يوسف وموسى لم يسم ملك مصر فرعون ، انما سماه العزيز الذى هو رئيس الوزراء ورئيسه الملك . وقال الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ﴾

(من الآية ٥٠ سورة يوسف)

اذن فالحاكم أيام يوسف كان يسمى ملكا ولم يسم فرعون . بينما حكام مصر قبل يوسف وبعده كانوا يلقبون بفرعون . ذلك لأنه قبل عهد يوسف عليه السلام حكم مصر الهكسوس أهل بنى اسرائيل . فقد أغاروا على مصر وانتصروا على الفراعنة . وحكموا مصر سنوات حتى تجمع الفراعنة وطردوهم منها .

والغريب أن هذه القصة لم تعرف الا بعد اكتشاف حجر رشيد ، وفك رموز اللغة الهيروغليفية . وكان ملوك الهكسوس من الرعاة الذين استعمروا مصر فترة . ولذلك نرى فى قصة يوسف عليه السلام قول الله سبحانه وتعالى : « وقال الملك أئتونى به » .

وهكذا نعلم أن القرآن الكريم قد روى بدقة قصة كل حاكم فى زمنه . وصف الفراعنة بأنهم الفراعنة . ثم جاء الهكسوس فلم يكن هناك فرعون ولكن كان هناك ملك . وعندما جاء موسى كان الفراعنة قد عادوا لحكم مصر . فاذا كان هذا الأمر لم نعرفه الا فى مطلع القرن الخامس . عندما اكتشف الفرنسيون حجر رشيد ، ولكن القرآن أرخ له التاريخ الصحيح منذ أربعة عشر قرنا . وهذه معجزة تنضم لمعجزات

كبيرة فى القرآن الكريم عن شىء كان مجهولا وقت نزول القرآن وأصبح معلوما الآن . لنجد أن القرآن جاء به فى وضعه الصحيح والسليم .

بعد أن تحدثنا عن الفرق بين نجيناكم وأنجيناكم . نتحدث عن الفرق بين « يذبحون أبناءكم » . و « يقتلون أبناءكم » . . الذبح غير القتل . . الذبح لابد فيه من اراقة دماء . والذبح عادة يتم بقطع الشرايين عند الرقبة ، ولكن القتل قد يكون بالذبح أو بغيره كالخنق والإغراق . كل هذا قتل ليس شرطا فيه أن تسفك الدماء .

والحق سبحانه وتعالى يريد أن يلفتنا إلى أن فرعون حينما أراد أن ينتقم من ذرية بنى اسرائيل انتقم منهم انتقامين . . انتقاما لأنهم كانوا حلفاء للهكسوس وساعدوهم على احتلال مصر . ولذلك فان ملك الهكسوس اتخذ يوسف وزيرا . فكأن الهكسوس كانوا موالين لبنى اسرائيل . وعندما انتصر الفراعنة انتقموا من بنى اسرائيل بكل وسائل الانتقام . قتلوهم وأحرقوا عليهم بيوتهم .

أما مسألة الذبح فى قوله تعالى : « يذبحون أبناءكم » فلقد رأى فرعون نارا هبت من ناحية بيت المقدس فأحرقت كل المصريين ولم ينج منها غير بنى اسرائيل . فلما طلب فرعون تأويل الرؤيا . قال له الكهان يخرج من ذرية اسرائيل ولد يكون على يده نهاية ملكك . فأمر القوابل (الدايات) بذبح كل مولود ذكر من ذرية بنى اسرائيل . ولكن قوم فرعون الذين تعودوا السلطة قالوا لفرعون : ان بنى اسرائيل يوشك أن ينقرضوا وهم يقومون بالخدمات لهم . فجعل الذبح سنة والسنة الثانية يبقون على المواليد الذكور.وهارون ولد فى السنة التى لم يكن فيها ذبح فنجا . وموسى ولد فى السنة التى فيها ذبح فحدث ما حدث .

اذن سبب الذبح هو خوف فرعون من ضياع ملكه . وفرض الذبح حتى يتأكد قوم فرعون من موت المولود . ولو فعلوه بأى طريقة أخرى كأن القوه من فوق جبل أو ضربوه بحجر غليظ . أو طعنوه بسيف أو برمح قد ينجو من الموت . ولكن الذبح يجعلهم يتأكدون من موته فى الحال فلا ينجو أحد .

والحق يقول : « يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم » . كلمة الابن تطلق على الذكر ، ولكن الولد يطلق على الذكر والانثى . ولذلك كان

الذبح للذكور فقط . أما النساء فكانوا يتركونهن أحياء .

ولكن لماذا لم يقل الحق تبارك وتعالى يذبحون أبناءكم ويستحيون بناتكم بدلا من قوله يستحيون نساءكم . الحق سبحانه وتعالى يريد أن يلفتنا الى أن الفكرة من هذا هو ابقاء عنصر الأنوثة يتمتع بهن آل فرعون . لذلك لم يقل بنات ولكنه قال نساء . أى أنهم يريدونهن للمتعة وذلك للتنكيل ببنى اسرائيل . ولا يقتل رجولة الرجل الا انه يرى الفاحشة تصنع فى نسائه .

والحق سبحانه وتعالى يقول : « وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم » . ما هو البلاء ؟ بعض الناس يقول إن البلاء هو الشر . ولكن الله تبارك وتعالى يقول : « ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون »

اذن هناك بلاء بالخير وبلاء بالشر . والبلاء كلمة لا تخيف . أما الذى يخيف هو نتيجة هذا البلاء . لأن البلاء هو امتحان أو اختبار . إن أديته ونجحت فيه كان خيرا لك . وان لم تؤده كان وبالا عليك . والحق سبحانه وتعالى يقول فى خليله ابراهيم :

﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ ﴾

(من الآية ١٢٤ سورة البقرة)

فإبراهيم نجح فى الامتحان ، والبلاء جاء لبنى اسرائيل من جهتين . . بلاء الشر بتعذيبهم وتقتيلهم وذبح أبنائهم . وبلاء الخير بانجائهم من آل فرعون . ولقد نجح بنو اسرائيل فى البلاء الأول . وصبروا على العذاب والقهر وكان بلاء عظيما . وفى البلاء الثانى فعلوا أشياء سنتعرض لها فى حينها .



﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

مرة ثانية تأتى « وإذ » . ويأتى الانجاء وسيلة . هذه الوسيلة ذكرتها الآية الكريمة . فقد خرج موسى وقومه وكانوا ستمائة ألف كما تقول الروايات . وعرف فرعون بخروجهم فخرج وراءهم على رأس جيش من ألف ألف (مليون) . عندما رآهم قوم موسى كما يروى لنا القرآن الكريم :

﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾

(من الآية ١٢٩ سورة الأعراف)

وقال لهم موسى كما جاء فى الكتاب العزيز :

﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾

(من الآية ١٢٩ سورة الأعراف)

وعندما جاء قوم فرعون بعددهم الضخم يقاومون قوم موسى وتراءى الجمعان أى انهم رأوهم رؤية العين قال قوم موسى « انا لمدركون »

وهذا كلام منطقى . فأمامهم البحر ووراءهم فرعون وجنوده . ولكن حين تخرج الأحداث من نطاق الأسباب الى قدرة المسبب فهى لا تخضع لأسباب الكون . ولذلك قال لهم موسى بملء فمه :
« كلا ان معى ربى سيهدين ».

وبذلك نقل المسألة من الأسباب الى المسبب تبارك وتعالى . فبمنطق الأحداث يكون فرعون وجنوده سيدركونهم . ولكن بمنطق الحق سبحانه وتعالى فانه سيهيىء لهم طريق النجاة .

وأوحى الله سبحانه وتعالى الى موسى بان يضرب بعصاه البحر فانفرق . وهكذا توقف قانون الماء وهو الاستطراق والسيولة . وانفرق البحر وأصبح كل جزء منه كالجبل . ذرات الماء تماسكت مع بعضها البعض لتكون جبلين كبيرين بينهما يابس يمر منه بنو اسرائيل .

هذا هو معنى قوله تعالى : « واذ فرقنا بكم البحر » والفرق هو الفصل بين شيئين . . واذا كان البحر قد انشق . . فأين ذهب الطين المبتل فى قاع البحر ؟ . . قالوا ان الله ارسل ريحا مرت عليه فجففته . ولذلك قال الحق جل جلاله : « طريقا فى البحر يبسا »

ويقال انه حين كان موسى وقومه يعبرون البحر سألوا عن بقية اخوانهم . فقال لهم موسى انهم فى طرق أخرى موازية لطريقنا . قالوا نريد أن نطمئن عليهم . فرفع موسى يده الى السماء وقال اللهم أعِنِّى على اخلاقهم السيئة . فأوحى الله الى موسى أن يضرب بعصاه الحواجز فانفتحت طاقة بين كل ممر . فكانوا يرون بعضهم بعضا .

وعندما رأى موسى عليه السلام فرعون وجيشه يتجهون الى البحر ليعبروه . اراد أن يضرب البحر ليعود الى السيولة . فلا يلحق بهم آل فرعون . ولكن الله أوحى اليه :

﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

(سورة الدخان)

أى اترك البحر على ما هو عليه . حتى يتبعكم قوم فرعون . ظانين أنهم قادرون

على أن يسلكوا نفس الطريق ويمشوا فيه . وحينما يكون أولهم قريبا من شاطئكم واخرهم عند الشاطىء الآخر . أعيد الماء الى استطراقه . فأكون قد أنجيت وأهلكت بالسبب الواحد . فالحق سبحانه وتعالى يريد أن يمن على بنى اسرائيل بانه انجاهم من العذاب واهلك عدوهم . فكان العطاء عطاءين . عطاء ايجاب بأن انجاهم، وعطاء سلب بأن أهلك عدوهم .

وقوله تعالى : « وانتم تنظرون » فى هذه الآية لم يتحدث الحق جل جلاله عن فرعون . وانما حدث عن اغراق آل فرعون . لماذا ؟ لأن آل فرعون هم الذين أعانوه على جبروته وبطشه وطغيانه . هم الأداة التى استخدمها لتعذيب بنى اسرائيل .

والله سبحانه وتعالى أراد أن يرى بنو اسرائيل آل فرعون وهم يغرقون فوقفوا يشاهدونهم . وأنت حين ترى مصرع عدوك . تشعر بالمرارة التى فى قلبك تزول . « وانتم تنظرون » تحتمل معنى آخر . أى ينظر بعضكم الى بعض وانتم غير مصدقين أنكم نجوتم من هذا البلاء العظيم . وفى نفس الوقت تطمئنون وانتم تشاهدونهم. وهم يغرقون دون أن ينجو منهم أحد حتى لا يدخل فى قلوبكم الشك . انه ربما نجى بعضهم وسيعودون بجيش ليتبعوكم .



﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ﴾

قول الحق سبحانه وتعالى «وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة» هذا الوعد كان لإعطاء موسى المنهج ، فحينها كلّم الله سبحانه وتعالى موسى بجانب الطور . . كان هذا لإبلاغ موسى عليه السلام أنه رسول من رب العالمين ـ وأنه أرسله ليخلص بنى اسرائيل من طغيان فرعون وعذابه . . وأنه سيمده بآيات ومعجزات . . حتى يقتنع فرعون وقومه أن موسى رسول من الله تبارك وتعالى . . بعد تكليف موسى بالرسالة وذهابه الى فرعون . . وما حدث مع السحره ثم نجاة موسى وقومه . . بأن شق الله جل جلاله لهم البحر . . هذا فى وقت لم يكن المنهج قد نزل بعد . . ولذلك بمجرد أن نجىَّ الله سبحانه وتعالى موسى وقومه وأغرق فرعون . . كان لابد أن يتم ابلاغ موسى بالمنهج . وكان الوعد يشمل أربعين ليلة . . هذه الليالى الأربعون حددت كثلاثين أولا . . ثم أتمها الحق سبحانه وتعالى بعشر أخرى . . واقرأ قوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾

(من الآية ١٤٢ سورة الأعراف)

وعندما يتكلم الدين عن الزمن يتكلم دائما بالليلة . . والسبب فى ذلك أنك لاتستطيع أن تحدد الزمن بدقة بالنهار . . الشمس تشرق وتغرب ثم تعود لتشرق . . فاذا نظرت الى قرص الشمس . . لايمكن أن تحدد فى أى وقت من الشهر نحن . . هل فى أوله أو فى وسطه أو فى آخره . . ولكن اذا جاء الليل بمجرد أن تنظر الى القمر تستطيع أن تحدد الزمن . فإذا كان القمر هلالا فنحن فى أوائل

الشهر . . وإذا كان بدرا فنحن فى وسطه وهكذا . .

إن هناك مقاييس دقيقة بالنسبة للقمر وقياس الزمن فى عرف الناس ؛ الانسان العادى يستطيع أن يحدد لك الزمن بالتقريب بالليالى . . ويقول لك البدوى فى الصحراء ، هذا القمر ابن كذا ليلة .

وفى منطق الدين نحسب كل شىء بدخول الليل . . فهذه ليلة الأول من شهر رمضان نصلى فيها التراويح . . وليلة العيد لا تصلى فيها التراويح . . وليلة النصف من شعبان . . وليلة الاسراء والمعراج . .

وفى كل مقاييس الدين الليل لا يتبع النهار إلا فى شىء واحد هو يوم عرفه . . فلا نقول ليلة عرفه وانما نقول يوم عرفه . . اذن الليلة هى ابتداء الزمن فى الدين . . والزمن عند الله مدته اثنا عشر شهرا للعام الواحد . . السنة الميلادية تختلف عن السنة الهجرية . . والسبب فى ذلك أن الله سبحانه وتعالى وزع رحمته على كونه . . فلو أن المواقيت الدينية سارت على مواقيت الشمس . . لجاء رمضان مثلا فى شهر محدد لا يتغير . . يصومه الناس صيفا فى مناطق محددة . وشتاء فى مناطق محددة ولا يختلف أبدا . . فيظل رمضان يأتى فى الصيف والحر دائما بالنسبة لبعض الناس . . وفى الشتاء والبرد دائما بالنسبة لبعض الناس . .

ولكن لأن السنة الهجرية تقوم على حساب الهلال . . فمعنى ذلك أن كل نفحات الله فى كونه تأتى فى كل الفصول والازمان . . فتجد رمضان فى الصيف والشتاء . . وكذلك وقفة عرفات وكذلك كل المناسبات الدينية الطيبة . . لأن السنة الهجرية تنقص أحد عشر يوما عن السنة الميلادية . . والفرق سنة كل ثلاث وثلاثين سنة .

والحق سبحانه يقول : «ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون» .

يريد أن يمحص بنى اسرائيل . . ويبين لنا كفرهم بنعم الله . فالله نجاهم من آل فرعون . . ولم يكادوا يعبرون البحر حتى رأوا قوما يعبدون الأصنام . . فقالوا كما يروى لنا القرآن الكريم :

﴿ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ (من الآية ١٣٨ الاعراف)

حدث هذا بمجرد خروجهم من البحر سالمين .. موسى عليه السلام أخذ النقباء وذهب لميقات ربه . وترك أخاه هارون مع بنى اسرائيل .. وبنو اسرائيل عندما كانوا فى مصر .. وكانوا يخدمون نساء آل فرعون .. أخذوا منهن بعض الحلى والذهب خلسة .. ومع أن فرعون وقومه متمردون على الله تبارك وتعالى .. فإن هذا لا يبرر سرقة حلى نسائهم .. فنحن لا نكافىء من عصى الله فينا بأن نعصى الله فيه .. ونصبح متساويين معهم فى المعصية .. ولكن نكافىء من عصى الله فينا بأن نطيع الله فيه ..

وأبو الدرداء رضى الله عنه حينما بلغه أن شخصا سبه .. بعث له كتابا قال فيه .. يا أخى لا تسرف فى شتمنا .. واجعل للصلح موضعا فإنا لا نكافىء من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه .. بنو اسرائيل سرقوا بعض حلى نساء آل فرعون .. فجعلها الله فتنة لإغوائهم .. وزين لهم الشيطان أن يصنعوا منها عجلا يعبدونه .. صنعه لهم موسى السامرى الذى رباه جبريل .. فأخذ الحلى وصهرها ليجعلها فى صورة عجل له خوار .. وقال لهم هذا الهكم واله موسى .

اتعرف لماذا فتنهم الله سبحانه وتعالى بالعجل ؟

لأن الذهب المصنوع منه العجل من أصل حرام .. والحرام لا يأتى منه خير مطلقا .. ولابد أن نأخذ العبرة من هذه الواقعة .. وهى ان الحرام ينقلب على صاحبه شراً ووبالا ، إن كان طعامك حراما يدخل فى تكوين خلاياك ويصبح فى جسدك الحرام .. فاذا دخل الحرام الى الجسد يميل فعلك الى الحرام .. فالحرام يؤرق الجسد ويسوقه الى المعاصى ..

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا ، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى : «ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا» وقال تعالى : ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم إياه تعبدون ، ثم ذكر ، الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك»(١) .

---

(١) رواه احمد ومسلم والترمذى

وقد حصل لبنى اسرائيل الشىء نفسه وسرقوا ذهب آل فرعون فانقلب عليهم ظلما ، وقال الله تعالى عنهم : « ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون » .

وعد الله لموسى كما قال أهل العلم كان ثلاثين ليلة . . إتمام الثلاثين ليلة يؤتيه ما وعد . . وكلمة وعد هى الإخبار بشىء سار . والوعيد هى الإخبار بشىء سيء . . فإذا سمعت وعدا فاعرف أنَّ ماسيجىء بعدها خير . وإذا سمعت وعيدا تعرف أن مابعدها شر ، إلا آية واحدة وهى قوله سبحانه وتعالى :

﴿ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾

(من الآية ٧٢ سورة الحج)

فهل الوعد هنا بخير أو المعنى اختلف ؟ . . نقول : إن كانت النار موعودا فهى شر . . وإن كانت النار هى الموعودة والكفار هم الموعود بهم فهى خير للنار ؛ لأن النار تفرح بتعذيب الكافرين من عباد الله . . ونعرف هذا الفرح من قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝٣٠ ﴾

(سورة ق)

ولا يستزيد الانسان إلا من شىء يحبه . . والنار ـ ككل شىء مسخر ـ مسبحة لله تكره العصاة . . ولكنها غير مأمورة بحرقهم في الدنيا . . ولكن فى الآخرة تكون سعيدة وهى تحرق العصاة والكافرين .

